التقارض بين المفرد والجمع

دراسة نحوية تحليلية

دكتور
جاد مخلوف جاد
مدرس بقسم اللغة العربية وآدابها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، أوتى جوامع الكلم ،، وصدرت عنه روائع الحكم ، فكان خير من نطق بالضاد ، وهدى الناس إلى طريق الرشاد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ..

فالأصل فى كلام العرب دلالة كل لفظ على ما وضع له فيدل المفرد على المفرد والمثنى على اثنين والجمع على جمع ، وقد يخرج عن هذا الأصل(١) فيجيىء المفرد فى موضع المثنى ، وقد يعبر بالجمع عن المثنى ، ومن سنن العرب الإتيان بلفظ الجميع المراد واحد واثنان(٢) .

ويرى صاحب الهمع أن استعمال المفرد فى موضع المثنى مما سمع ولا ينقاس(٣) . أما ابن مالك(٤) والكوفيون فيرون قياسية التعبير

---

(١) همع الهوامع للسيوطى ١/٥٠ .

(٢) الصاحبى ص ١٨٠ .

(٣) الهمع ١/٥٠ .

(٤) هو جمال الدين ، محمد بن عبد الله بن مالك (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ) مولده بالأندلس ، ووفاته بدمشق من أعظم نحاة القرن السابع شهرة . له مؤلفات عدة منها « الألفية » و « تسهيل الفوائد » و « شرحه » و « شرح الكافية الشافية » غاية النهاية ٢/١٨٠ - ١٨١ والبغية ١/١٣٠ - ١٣٧ .

بالمفرد عن المثنى إذا أمن اللبس(٥) .

قال ابن مالك (ويعاقب الإفراد التثنية فى كل اثنين لا يغنى أحدهما عن الآخر وربما تعاقبا مطلقا)(٦) .

ويقول الرضى(٧) (وقد يقع المفرد موقع المثنى فى ما يصطحبان)(٨) .

ويقول ابن عصفور(٩) (ويجوز وضع صيغة الجمع للاثنين بقياس إذا كان كل واحد منهما بعض شىء وكان مفردا من صاحبه)(١٠) .

وقال فى موضع آخر (وقد يوضع الجمع أيضا موضع المفرد فى الضرورة)(١١) وقد صرح النحاة بأن كل مثنى فى المعنى

---

(٥) الهمع ١/٥٠ .

(٦) التسهيل ص ١٩ .

(٧) هو : محمد بن الحسن نجم الملة والدين الاستراباذى ، هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة وألف شرحه على الكافية وله شرح على الشافية لابن الحاجب أيضا فى الصرف . نشأة النحوص ١٨٨ .

(٨) شرح الكافية ٢/١٧٧ .

(٩) هو : على بن مؤمن بن محمد بن على بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور توفى فى سنة تسع وستين وستمائة . من مؤلفاته « الممتع » فى التصريف و « المقرب » وغيرهما . والبغية ٢/٢١٠ .

(١٠) المقرب ٢/١٢٨ .

(١١) السابق نفس الجزء والصفحة .

مضاف إلى متضمنه يجوز فيه الجمع والإفراد (١٢) .

يقول سيبويه (١٣) : (وليس يستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع) (١٤) وبالاطلاع والبحث والتنقيب فى الكتب النحوية وجدت ذلك الموضع - التقارض بين المفرد والجمع - جديرا بالدراسة فعقدت العزم على إخراجه مستعينا فى ذلك بما ورد عن النحاة وبما ورد من شواهد قرآنية وشعرية .

ويقع هذا الموضوع فى عدة مسائل .

- **المسألة الأولى :** واحد يراد به الجمع .
- **المسألة الثانية :** جمع يراد به واحد أو اثنان .
- **المسألة الثالثة :** أن تصف الواحد بلفظ الجمع .
- **المسألة الرابعة :** أن تصف الجمع بصفة الواحد .
- **المسألة الخامسة :** استعمال صيغة التثنية فى مخاطبة الواحد والجمع

وسأتناول كل مسألة من هذه المسائل تناولا شاملا .

فالله أسأل الهداية والتوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل .

المعتز بالله

د/ جاد مخلوف جاد

---

(١٢) الصبان على الأشمونى ٣/٧٤ .

(١٣) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (... - ١٨٠ هـ) شيخ النحاة وإمام البصريين وصاحب الكتاب الذى أصبح علما بالغلبة عند النحويين . الفهرست ٧٦ - ٧٧ .

(١٤) الكتاب ١/٢٠٩ .

المسألة الأولى

واحد يراد به الجمع

جاء الواحد مرادا به الجمع فى كثير من آيات الذكر وكلام العرب ، فمن الآيات القرآنية :

قوله تعالى : « **لا نفرق بين أحد من رسله** »(١) .

والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا .

قال ابن قتيبة(٢) : « أحد فى معنى جميع كأنه قال : لا نفرق بين رسله فنؤمن بواحد ونكفر بواحد »(٣) .

وقال ابن الأنبارى(٤) : « أضاف (بين) إلى أحد لأن المراد به ها هنا الكثرة ، لأن (أحدا) فى سياق النفى يدل على الكثرة

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٢) هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المرزوى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) ولد فى أواخر خلافة المأمون ، وقد اختلف المؤرخون فى تعيين المدينة التى ولد فيها فقيل ببغداد وقيل بالكوفة ، صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة من أشهرها (تأويل المشكل) و (تفسير غريب القرآن) وغيرهما . إنباه الرواة ١٤٣/٢ ، وبغية الوعاة ٦٣/٢ ، ٦٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن : ص ١٠٠ .

(٤) هو : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن مصعب بن أبى سعيد كمال الدين أبو البركات بن الأنبارى ، مولده فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ووفاته فى ليلة الجمعة تاسع شعبان من سنة سبع وسبعين وخمسمائة . إنباه الرواة ١٧١/٢ .

كقوله تعالى : (**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**) ، ثم قال : « **فيتعلمون منهما** »(٥) .

ونظائره كثيرة فى كتاب الله وكلام العرب ، ولو كان المراد به الواحد لما جاز إضافة (بين) إليه ، لأنها لا تضاف إلى الواحد ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال : المال بين زيد . حتى يقول : وعمرو »(٦) .

وقال الواحدى(٧) : « بين تقتضى اثنين فصاعدا ، وإنما جاز مع أحد وهو واحد فى اللفظ لأن أحدا يجوز أن يؤدى عن الجميع ، قال تعالى : « **فما منكم من أحد عنه حاجزين** »(٨) ، وفى الحديث : « ما أحلت الغنائم لأحد سود الرءوس غيركم »(٩) .

وإنما كان كذلك لأن أحدا ليس كرجل يثنى ويجمع ، وقولك : ما يفعل هذا أحد ، تريد ما يفعله الناس كلهم .

فلما كان لفظ أحد يؤدى الجمع جاز أن يستعمل معه بين وإن

---

(٥) سورة البقرة : ١٠٢ .

(٦) البيان فى غريب إعراب القرآن ١٨٨/١ .

(٧) هو الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن متويه الواحدى النيسابورى الشافعى ، من مؤلفاته (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) فى تفسير القرآن الكريم ، و (الإغراب فى الإعراب) فى النحو ، وفاته بنيسابور فى سنة ثمان وستين وأربعمائة . ترجمته فى بغية الوعاة ١٤٥/٢ ، وغاية النهاية ٥٢٣/١ ، وطبقات المفسرين ٣٧٢/١ .

(٨) سورة الحاقة : ٤٧ .

(٩) مسند الإمام أحمد ١٠٣/١ .

كان لا يجوز أن يقول لا نفرق بين رجل منهم ، لأن أحدا لا يثنى كما يثنى الرجل ويجمع ، فإن شئت جعلت أحدا فى تأويل اثنين وإن شئت فى تأويل أكثر »(١٠) .

— وقوله تعالى : « **وحسن أولئك رفيقا** »(١١) .

قال ابن الأنبارى : « رفيقا) يراد به ها هنا الجمع فوحد كما وحد فى نحو ، عشرون رجلا ، وقد يقام الواحد المنكور مقام جنسه »(١٢) .

وعليه فقوله تعالى : (رفيقا) يراد به الجمع أى رفقاء .

قال الواحدى : « ووحد الرفيق لأن الواحد فى اليمين ينوب عن الجماعة »(١٣) .

فـ (رفيقا) فى الآية الكريمة نائب عن (رفقاء) .

— وقوله تعالى : « **هؤلاء ضيفى فلا تفضحون** »(١٤) .

فـ (ضيفى) مفرد يراد به الجمع أى أضيافى .

قال الزجاج : « الضيف يوحد وإن وصفت به الجماعة ، تقول

---

(١٠) البسيط ٢/٦٥٩ .

(١١) سورة النساء : ٦٩ .

(١٢) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/٢٥٨ .

(١٣) الوسيط : ص ٣٧ .

(١٤) سورة الحجر : ٦٨ .

(١٥) هو : أبو اسحاق ابراهيم بن السرى (٢٤١ - ٣١١ هـ) لقب بالزجاج لأنه كان يحترف خراطة الزجاج ، بغدادى ، أخذ أول الأمر عن ثعلب ثم لزم المبرد . من مؤلفاته (الاشتقاق) و (فعلت وأفعلت) و (معانى القرآن وإعرابه . تهذيب الأسماء واللغات ٢/١٧٠ ، وفهرست ابن النديم ص ٥٩ .

هذا ضيف وهذان ضيف ، وهؤلاء ضيف .كما تقول : هـؤلاء عدل ، وإن شئت قلت أضياف ، وضيفان ، فمن وحد فلأنه وصف به الاسـم ، فلذلك وحـد »(١٦) .

ولقد عد أبو حيان(١٧) ذلك فصيحا .

قال صاحب البحر : « والضيف أصـله المصدر والأفصح أن لا يثنى ولا يجمـع للمثنى والمجموع »(١٨) .

وفي روح المعـاني : « الضيف مصدر ضـافه فيطلق على الواحد والجمع ولذا صح جعله خبرا لـ « هؤلاء(١٩) » »(٢٠) .

— وقوله تعـالى : « نخـرجكم طفـلا »(٢١) .

في معنى أطفال ، ودل عليـه ذكـر الجماعة ، وكأن طفـلا يدل على معنى ويخرج كل واحد منكم طفلا(٢٢) .

---

(١٦) معـاني القـرآن للزجاج ١٨٢/٣ .

(١٧) هو : محمد بن يوسف بن علي أثير الدين (٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ) مولده بغرناطة ووفاته بالقاهرة . من مصنفاته (البحر المحيط) في التفسير ، (ارتشاف الضرب) في النحو . فوات الوفيـات ٥٥٥/٢ ، والبدر الطالع ٢٨٨/٢ .

(١٨) البحـر المحيط ٤٥٨/٨ .

(١٩) في قوله تعالى : (قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) سورة الحجر : ٦٨ .

(٢٠) روح المعـاني للألوسي ٧١/١٤ .

(٢١) سـورة الحج : ٥ .

(٢٢) معـاني القـرآن للزجاج ٤١٢/٣ .

قال الأخفش(٢٣) : « فاستغنى بالواحد عن الجمع كما قال : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا (٢٤) »(٢٥) أى أنفسا .

وقال أبو عبيدة(٢٦) : (طفلا) فى موضع أطفال(٢٧) .

وفى روح المعانى : والإفراد إما باعتبار كل واحد منهم أو بإرادة الجنس الصادق على الكثير أو لأنه مصدر فيستوى فيه الواحد وغيره »(٢٨) .

ـ وقوله تعالى : « ... واجعلنا للمتقين إماما »(٢٩) .

فالإمام ها هنا جماعة ، كما قال تعالى : « فإنهم عدو لى إلا رب

---

(٢٣) « ... ـ ٢١٥ هـ = ... ـ ٨٣٠ م » سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى المعروف بالأخفش الأوسط (أبو الحسن) نحوى ، لغوى أخذ عن سيبويه ، والخليل بن أحمد . من تصانيفه : كتاب الأوسط فى النحو ، والاشتقاق وغيرها . وفيات الأعيان ٢/٣٨٠ ، وشذرات الذهب ٢/٣٦ ، والبغية ١/٥٩٠ .

(٢٤) سورة النساء : ٤ .

(٢٥) معانى القرآن للأخفش ٢/٦٩٦ .

(٢٦) هو : معمر بن المثنى اللغوى البصرى ، مولى بنى تميم ، تيم قريش ، صنف المجاز فى غريب القرآن ، الأمثال فى غريب الحديث ، معانى القرآن وغيرها . ولد سنة اثنتى عشرة ومائة ، ومات سنة تسع وقيل ثمان وقيل عشر وقيل إحدى عشرة ومائتين . البغية ٢/٢٩٤ ، ووفيات الأعيان ٥/٢٣٥ .

(٢٧) مجاز القرآن : ٢/٤٤ .

(٢٨) روح المعانى ١٧/١١٧ .

(٢٩) سورة الفرقان : ٧٤ .

العالمين »(٣٠) ، والأصل فإنهم أعداء لى .

— وقوله تعالى : « هم العدو »(٣١) أى الأعداء .

— وقوله تعالى : (وكم من ملك فى السماوات) ، ثم قال : « لا تغنى شفاعتهم شيئا »(٣٢) فجمع ، وإنما ذكر ملكا واحدا ، وذلك أن (كم) تدل على أنه أراد جمعا ، (والعرب تذهب بأحد وبالواحد إلى الجمع فى المعنى يقولون : هل اختصم أحد اليوم والاختصام لا يكون إلا للاثنين فما زاد (٣٣) .

— وقوله تعالى : « سيهزم الجمع ويولون الدبر »(٣٤) .

قال الفراء : « وقال الدبر فوحد ، ولم يقل : الأدبار ، وكل جائز صواب أن تقول : ضربنا منهم الرءوس والأعين ، وضربنا منهم الرأس واليد ، وهو كما تقول : إنه لكثير الدينار والدرهم تريد الدنانير والدراهم »(٣٥) .

وقال الزجاج : « المعنى ويولون الأدبار ، كما قال : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون »(٣٦) .

---

(٣٠) سورة الشعراء : ٧٧ .

(٣١) سورة المنافقون : ٤ .

(٣٢) سورة النجم : ٢٦ .

(٣٣) معانى القرآن للفراء : ٣/٩٩ .

(٣٤) سورة القمر : ٤٥ .

(٣٥) معانى القرآن للفراء : ٣/١١٠ .

(٣٦) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٥/٩٢ .

هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمى إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء ، أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى ، أخذ عنه وعليه اعتمد وأخذ عن يونس ، وأهل الكوفة

قال الأخفش : « فجعل للجماعة دبرا واحدا فى اللفظ »(٣٧) .

وفى روح المعانى : « أى الأدبار وقد قرىء كذلك والإفراد لإرادة الجنس الصادق على الكثير مع رعاية الفواصل ومشاكلة القرائن أو لأنه فى تأويل يولى كل واحد منهم دبره »(٣٨) .

ـ وقوله تعالى : « **إن المتقين فى جنات ونهر** »(٣٩) .

معناه نهار .

قال الفراء : « وهو فى مذهبه كقوله « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** »(٤٠) ، وزعم الكسائى(٤١) أنه سمع العرب يقولون : أتينا فلانا فكنا فى لحمة ونبيذة فوحد ومعناه الكثير »(٤٢) .

=

يدعون أنه استكثر عنه ، وأهل البصرة يدفعون ذلك . صنف الفراء : معانى القرآن ، المصادر فى القرآن ، الجمع والتثنية فى القرآن ، آلة الكاتب ، النوادر ، المقصور والممدود ، فعل وأفعل ، المذكر والمؤنث ، الحدود ، وله غير ذلك . مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين ، عن سبع وستين سنة ، بغية الوعاة ٣٣٣/٢ .

(٣٧) معانى القرآن ٧٠٠/٢ .

(٣٨) روح المعانى ٩٢/٢٧ .

(٣٩) سورة القمر : ٥٤ .

(٤٠) سورة القمر : ٤٥ .

(٤١) هو : أبو الحسن على بن حمزة (١١٩ ـ ١٨٩ هـ) أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين ، ومؤدب ولدى الرشيد : الأمين والمأمون ، وصاحب المناظرة المشهورة مع سيبويه .

مراتب النحويين ص ١٢٠ ، وطبقات القراء ٥٣٥/١ .

(٤٢) معانى القرآن ١١١/٣ .

وقال الزجاج : « المعنى فى جنات وأنهار والاسم الواحد يدل على الجميع فيجتزأ به عن الجميع »(٤٣) .

وقال الواحدى : » أكثر أهل التفسير والمعانى على أنه أراد وأنهارا يعنى أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل ووحد لأنه قابل الفواصل فصار كقوله : « ويولون الدبر »(٤٤) والواحد قد ينبىء عن الجمع فيجتزأ به »(٤٥) .

— وقوله تعالى : « فما منكم من أحد عنه حاجزين »(٤٦) .

أحد هنا فى معنى جميع .

قال الفراء : « أحد يكون للجمع وللواحد »(٤٧) .

— وقوله تعالى : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. »(٤٨) .

فالإنسان واحد واستثنى منه (الذين آمنوا) وهم جماعة(٤٩).

* * *

(٤٣) معانى القرآن ٥/٩٣ .

(٤٤) سورة القمر : ٤٥ .

(٤٥) البسيط ٢/٤١٦ .

(٤٦) سورة الحاقة : ٤٧ .

(٤٧) معانى القرآن ٣/١٨٣ .

(٤٨) سورة العصر : ١ - ٣ .

(٤٩) منال الطالب في شرح طوال الغرائب ١/٥٧ .

كلام العرب

أما من كلام العرب فيقول المبرد(٥٠) : « وقد جاز فى الشعر أن تفرد وأنت تريد الجماعة إذا كان فى الكلام دليل على الجمع فمن ذلك ... »(٥١) .

قول الشاعر :

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص(٥٢)

والشاهد فيه استعمال (بطن) بمعنى الجمع أى بعض بطونكم .

وقول الشاعر :

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض وأما جلدها فصليب(٥٣)

---

(٥٠) هو : محمد بن يزيد النحوى وكنيته أبو العباس، ولد سنة ٢١٠هـ، تتلمذ على المازنى ، والجرمى وغيرهما ، من أعلام البصرة ، من مؤلفاته (المقتضب) و (الكامل) و (معانى القرآن) . إنباه الرواة ٢٤٢/٣ ، وبغية الوعاة ٦٩/١ .

(٥١) المقتضب ١٦٩/٢ ، ١٧٠ .

(٥٢) من الوافر ، ولم يعرف قائله ، يقال أكل فى بعض بطنه إذا كان دون الشبع، وأكل فى بطنه إذا امتلأ وشبع، والخميص: الجائع، أى زمان جدب ومخمصة .
ينظر فى ذلك الكتاب ٢١٠/١ ، والمقتضب ١٧٠/٢ ، والخزانة ٣٧٩/٣ .

(٥٣) من الطويل ، قائله علقمة بن عبدة ، يصف طريقا شاقا ، الحسرى: جمع حسير، وهى الناقة التى تعبت، بيض : أى أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتعرت ، صليب : يابس لأنه

والشاهد فيه قوله (جلدها) حيث جاء مفردا أريد به الجمع ، أى جلودها .

وقول الشاعر :

لا تنكروا القتل وقد سبينا

فى حلقكم عظم وقد شجينا (٥٤)

وشاهده استعمال (حلقكم) مفردا مرادا به الحلوق .

وقول الشاعر :

يا عين بكى حنيفا رأس حيهم

الكاسرين القنا فى عورة البدر (٥٥)

ملقى بالفلاة لم يدبغ .

ينظر فى ذلك الكتاب ٢٠٩/١ ، والبرهان للحوفى ١٩٢/٤ ، والدر المصون ص ١٢٥ ، والبحر ٣٠٣/٦ ، وديوان الشاعر : ص ٤٠ .

(٥٤) من الرجز ، أنشده المسيب بن زيد مناة الغنوى كما فى اللسان. يقول لا تنكروا قتلنا لكم وقد سبيتم منا خلقا فقد شجيتم بقتلنا لكم، كما شجينا نحن من قبل بمن سبيتم منا، فهذا بذلك (شجا) يقال شجا بالعظم إذا اعترض فى حلقه وأغصه .

ينظر فى ذلك الكتاب ٢٠٩/١ ، والمقتضب ١٧٠/٢ ، والبسيط ٤١٧/٢ ، والدر المصون ص ٢٥٥ .

(٥٥) من البسيط ، لتميم بن أبى مقبل ، وعجزه فى اللسان (دبر) وحنيف ، بالتصغير : قبيلة من قيس ، وهو أحد جدود ابن مقبل ، وهو حنيف بن قتيبة بن العجلان بن كعب بن ربيعة . يرثى هذه القبيلة ، يقول : كانوا سادة حيهم بمثابة الرأس منهم ، وكانوا إذا شهدوا الحرب فانكسر جيشهم كروا وقاتلوا

والدبر : الأدبار ، عبر بالواحد عن الجمع ، كما تقول هو كثير الدرهم والدينار .

وقول الشاعر :

هم المولى وإن جفنوا علينا

وإنا من لقائهم لزور (٥٦)

والمولى هنا فى موضع الموالى ، أى بنى العم .

وقول الشاعر :

فقلنا : أسلموا إنا أخوكم

وقد برئت من الإحن الصدور (٥٧)

والشاهد فى قوله : (أخوكم) أراد إنا إخوتكم فعبر بالمفرد وأراد الجمع .

وقول الشاعر :

=

دونهم وكسروا رماحهم فى سبيل حفظ عورتهم وحمايتها من عدوهم . القنا : الرماح .

الكتاب ١٨٤/١ .

(٥٦) البيت من الوافر لعامر الخصفى .

اللغة : جنفوا : مالوا ، والزور : الكذب والباطل .

تأويل المشكل ص ٢٨٤ ، ومجاز القرآن ٦٦/١ ، ٦٧ ، واللسان ٧٠١/١ ، جنف .

(٥٧) البيت من الوافر لعباس بن مرداس كما فى المقتضب .

الإحنة :الحقد فى الصدر . انظر المقتضب ١٧١/٢ ، وتأويل المشكل ص ٢٨٥ ، ومجاز القرآن ٧٩/١ ، ١٣١ .

يا عـــاذلاتى لا تـــردن مـلامتى إن العواذل ليس بى بأمير(٥٨)

وشاهده استعمال (أمير) مفـردا ، مرادا به أمـراء .

يقول المبرد : « وقد قالوا فى قول العبـاس بن مرداس قولين وهـو :

فقلنـا أسلمـوا إنا أخـوكم وقد برئت من الإحن الصدور

فقال بعضهم : أراد : إنا إخوتكم ، فوضـع الواحد موضع الجميع ، كما قا ل: فى حلقكم أى حلوقكم .

وقال آخـرون لفظـه لفظ الجميـع من قولك : أخ وأخون ، ثم تحذف النون وأضاف كما تقول مسلموكم وصالحوكم »(٥٩) .

* * *

(٥٨) البيت من الكامل ولم أقف على قائله .
المغنى ص ٢٧٩ ، وتأويل المشكل ٢٨٥ ، والطبرى ٣٤/١٩ ، وصدره فى مجاز القرآن ٢٤٥/٢ من غير نسبة .

(٥٩) المقتضب ١٧٢/٢ .

المسألة الثانية

جمع يراد به واحد أو اثنان

يستعمل العرب الجمع وهم يريدون المثنى ، قال سيبويه : « وسألت الخيل عن قولهم : ما أحسن وجوههما ، فجمعوا وهم يريدون اثنين ، فقال : لأن الاثنين جميع .. »(١) .

قال أبو عبيدة : « وإن مجاز ما جاء لفظه لفظ الذى له واحد منه ووقع معنى هذا الجميع على الاثنين قوله تعالى : **« فإن كان له إخوة »**(٢) فالإخوة جميع وقع معناه على أخوين »(٣) .

وقال فى موضع آخر :

« أى : أخوان فصاعدا لأن العرب تجعل لفظ الجميع على معنى الاثنين »(٤) .

وفى القرآن الكريم آيات متعددة جاء فيها الجمع مرادا به التثنية .

ومن ذلك قوله تعالى : **« وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه »**(٥) .

قال ابن قتيبة : « جاء فى التفسير : أنهما لوحان »(٦) .

---

(١) الكتاب ٢٤١/١ .

(٢) سورة النساء : ١١ .

(٣) مجاز القرآن ٩١/١ .

(٤) مجاز القرآن ١١٨/١ .

(٥) سورة الأعراف : ١٥٠ .

(٦) تأويل المشكل : ص ٢٨٣ .

وقوله تعالى :« **أولئك مبرءون مما يقولون** »(٧) .

يعنى عائشة وصفوان بن المعطل(٨) .

ومن أمثلة النوع الثانى - وضع الجمع موضع المفرد - قوله تعالى : « **إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة** »(٩) .

قال قتادة(١٠) : كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم فى النبى ﷺ يسير مجانبا لهم ، فسماه الله طائفة وهو واحد(١١) .

وقوله تعالى : « **بم يرجع المرسلون** »(١٢) .

وهو واحد(١٣) ، يدل عليه قوله جل ثناؤه : « **إرجع إليهم** »(١٤) .

وقوله تعالى : « **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** »(١٥) .

هو - رجل واحد(١٦) ناداه يا محمد - ﷺ - إن مدحى زين

---

(٧) سورة النور : ٢٦ .

(٨) تأويل المشكل : ص ٢٨٤ .

(٩) سورة التوبة : ٦٦ .

(١٠) هو : قتادة بن دعامة بن عرفين بن عمرو السدوسى البصرى (أبو الخطاب) مفسر من آثاره تفسير القرآن الكريم .
معجم المؤلفين ١٢٧/٨ .

(١١) تأويل المشكل : ص ٢٨٢ .

(١٢) سورة النمل : ٣٥ .

(١٣) تأويل المشكل : ص ٢٨٥ .

(١٤) سورة النمل : ٣٧ .

(١٥) سورة الحجرات : ٤ .

(١٦) قيل : هو الأقرع بن حابس ، وقيل غيره . تفسير الطبرى ٢٧/٢٦ .

وإن شتمى شين ، فخرج إليه النبى ﷺ فقال : (ويلك ذاك الله جل وعز) ونزلت الآية (١٧) .

وقوله تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما »(١٨) ، وهما قلبان(١٩) .

قال أبو حيان : « وأتى بالجمع فى قوله (قلوبكما) وحسن ذلك إضافته إلى مثنى وهو ضميراهما والجمع فى مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى دون الجمع ، وهذا كان القياس ، أن يعبر بالمثنى استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع ، وهذا كان القياس ، أن يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع لأن التثنية جمع فى المعنى والإفراد لا يجوز عن أصحابنا إلا فى الشعر »(٢٠) .

وفى روح المعانى : « والجمع فى (قلوبكما) دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد وهو مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والإفراد »(٢١) .

ومن كلام العرب :

قول الراعى(٢٢) :

---

(١٧) تأويل المشكل : ص ٢٨٣ ، والصاحبى : ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(١٨) سورة التحريم : ٤ .

(١٩) تأويل المشكل : ص ٢٨٣ .

(٢٠) البحر المحيط ٢٩٠/٨ ، ٢٩١ .

(٢١) روح المعانى : ١٥٢/٢٨ ، ١٥٣ .

(٢٢) هو : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميرى (... - ٩٠ هـ) شاعر من فحول المحدثين لقب بالراعى لكثرة وصفه للإبل وهو من أصحاب الملحمات . الخزانة ١٥٠/٣ ، ١٥١ ، والأعلام ١٨٨/٤ ، ١٨٩ .

أخليـــد إن أبـــاك ضـــاف وســـادة

همـــــان مـــاتا جنبـــــة ودخيـــلا

طـــرقا فتلـــك همـــا همـــى أقـــريهما

قلصـــا لواقـــع كالقـــسى وحـــــولا (٢٣)

فجعل الاثنين فى لفظ الجميع وجعل الجميع فى لفظ الاثنين (٢٤)

* * *

(٢٣) البيتان من الكامل وهما فى مجاز القـرآن ١١٨/١ ، وديوان جرير ٢٠٢/٢ ، والبيت الثانى فى اللسان (همم) . وديوان الراعى : ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٢٤) أخليد : منـاد ىمرخم ، والأصـل : أخليدة ابنة الشاعر كما فى بيت سابق ، ضـافه الهم ، أى نزل به ، فاطار نوم الشـاعر ، جنبه : أى نالحية ، أى بات أحد الهمين جنبه وبات الآخر داخل جوفه . والهماهم : بمعنى الهموم ، قلصـا : جمع قلوص وهى النـاقة الفتيـة ، والحـول : الحيـال .

قال الأصمعى : (حالت الناقة ، فهى تحول حيالا إذا ضربها الفحل ولم تحمل وناقة حائلة ونوق حيـال وحول) اللسـان (حـول) .

المسألة الثالثة

أن تصف الواحد بلفظ الجمع

ومن ذلك :

قوله تعالى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »(١) ،

قال الفراء : « وهو يعنى المسجد الحرام وحده ، وقرأها مجاهد(٢) وعطاء(٣) بن أبى رباح (مسجد الله) ، وربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع ، وبالجمع إلى الواحد ، ألا ترى الرجل على البرزون فتقول : أخذت فى ركوب البرازين وترى الرجل كثير الدراهم فتقول : إنه لكثير الدراهم ، فأدى الجمع عن الواحد ، والواحد عن الجمع »(٤) .

---

(١) سورة التوبة : ١٧ .

(٢) هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى أحد الأعلام من التابعين روى عنه عطاء بن أبى رباح وابن سيرين والزهرى وغيرهم ، توفى بالمدينة سنة ١٠١ هـ .

تهذيب الأسماء واللغات ٢٤٤/٢ .

(٣) هو : عطاء بن أبى رباح بن أسلم أبو محمد القرشى المكى أحد الأعلام ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، روى القراءة عن أبى هريرة . مات سنة خمس عشر ومائة ، وقيل : أربع عشرة ومائة .

غاية النهاية فى طبقات القراء ٥١٣/١ .

(٤) معانى الفراء ٤٢٧/٣ .

وكذلك قول العرب : برمه أعشار ، وثوب أخلاق ، وأسمال ونعل أسماط ، أى غير مطبقة .

قال الشاعر :

جاء الشتاء وقميصى أخلاق

شراذم يضحك منه التواق(٥)

قال ابن فارس : « وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع فيقولون : (برمة أعشار) و (حبل أحذاق) .

قال :

جاء الشتاء وقميصى أخلاق

شراذم يضحك منه التواق

ومن الباب : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله »(٦) .

إنما أراد المسجد الحرام .

ويقولون : (أرض سباسب) يسمون كل بقعة منها (سبسبا) لاتساعها »(٧) .

---

(٥) على أن (شراذم) لفظه جمع بالاتفاق ، نعت الواحد بالجمع لكثرته فيه : كما قالوا برمة أعشار إذا انكسرت ، أريد أن كسرها كثير . خلق الثوب خلوقه : أى بلى . وثوب أخلاق إذا كانت الخلاقة فيه كله ، والشراذم جمع شرذمة . والشرذمة : الطائفة من الناس والقطعة من الشىء ، والتواق : اسم الشاعر . وأصله مبالغة تائق من تاقت نفسه الشىء بمعنى اشتاقت ، وروى التواق بالنون والنواق من الرجال الذى يرود الأمور ويصلحها . والبيت فى معانى القرآن للفراء ٤٢٧/٣ ، واللسان ٢٢٣١/٣ ، شرذم ، برواية يضحك منى التواق مكان يضحك منه ، والخزانة ٢٣٥/١ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب برواية يعجب منه التواق . مكان يضحك منه التواق ، والصاحبى ١٨١/١ .

(٦) سورة التوبة : ١٧ .

(٧) الصاحبى : ص ١٨١ .

المسألة الرابعة

أن تصف الجمع بصفة الواحد

ومن ذلك :

— قوله تعالى : « وإن كنتم جنبا فاطهروا »(١) .

فقال : (جنبا) وهم جماعة .

قال الزجاج : «يقال للواحد رجل جنب ، ورجلان جنب وقوم جنب وامرأة جنب ، كما يقال رجل رضى وقوم رضى وإنما هو على تأويل ذوو أجنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما أضيف إليه .

ومن العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل وإذا جمع جنب قلت فى الرجال جنبون ، وفى النساء جنبات ، وللاثنين جنبان »(٢) .

— وقوله تعالى : « والملائكة بعد ذلك ظهير »(٣) .

فى معنى ظهراء .

قال ابن الأنبارى : « إنما قال (ظهير) بالإفراد ولم يقل (ظهراء) بالجمع ، لأن (ظهيرا) على فعيل وفعيل يكون للواحد والجمع ، كقوله تعالى : « خلصوا نجيا »(٤) »(٥) .

---

(١) سورة المائدة : ٦ .

(٢) معانى الزجاج : ١٥٤/٢ .

(٣) سورة التحريم : ٤ .

(٤) سورة يوسف : ٨٠ .

(٥) البيان فى غريب إعراب القرآن ٤٤٧/٢ .

ومن كلام العرب :

قول زهير(٦) :

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم

هم بيننا فهم رضا وهم عدل(٧)

فعدل صفة لقوم .

وقال الشاعر :

يا عاذلاتى لا تردن ملامتى

إن العواذل ليس لى بأمير(٨)

أراد أمراء .

* * *

---

(٦) هو : زهير بن أبى سلمى (٠٠٠ - ١٣ ق.هـ = ٠٠٠ - ٦٠٩ هـ) ابن ربيعة بن رباح المازنى حكيم الشعراء فى الجاهلية . كان ينظم القصيدة فى شهر ويهذبها فى سنة وكانت قصائده تسمى الحوليات . الشعر والشعراء ١٣٧/١ ، ١٣٨ ، والخزانة ٢٣٢/٢

(٧) شرح ديوان زير ص ٤٠ وفيه (تقل) مكان (يقل) .

يشتجر : من المشاجرة ، وهى الخصومة ، وسرواتهم : أشرافهم ، وهم بيننا : أى الحاكمون بيننا . ومعنى البيت : أنه إذا اختلف قوم فى أمر رضوا بحكم هؤلاء لما عرف من عدلهم . تأويل المشكل ص ٢٨٥ ، والصاحبى ص ١٨١ .

(٨) سبق بيانه ص ١٢ .

المسألة الخامسة

استعمال صيغة التثنية فى مخاطبة الواحد والجمع

قال الله تعالى : « **ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد** »(١) .

الخطاب لخزنة جهنم أو زبانيتها .

قال الزجاج : « الوجه عندى - والله أعلم - أن يكون أمرا للملكين لأن (ألقيا) للاثنين ، وقال بعض النحويين : إن العرب تأمر الواحد بلفظ الاثنين فتقول : قوما واضربا زيدا يا رجل ، ورووا أن الحجاج كان يقول : يا حرسى اضربا عنقه ، وقالوا : إنما قيل ذلك لأن أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين »(٢) .

وذكر الواحدى عن مقاتل(٣) يقول الله (**ألقيا فى جهنم**) يعنى الخازن ، وهو فى كلام العرب خذاه يعنى الواحد .

وقال الكلبى(٤) كلام العرب (ألقيا) لواحد .

واختار الأخفش والفرا هذا المذهب وهو أن هذا خطاب

---

(١) سورة ق : ٢٤ .

(٢) معانى القرآن ٤٥/٥ ، ٤٦ .

(٣) هو : مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدى الخرسانى المفسر ، روى عن مجاهد وعطاء بن أبى رباح والضحاك بن مزاحم وغيرهم . من آثاره العلمية (التفسير الكبير) و (الناسخ والمنسوخ) و (متشابه القرآن) وغيرهم . طبقات المفسرين ٣٣٠/٢، ٣٣١ .

(٤) هو : ابراهيم بن أبى الفتح أبو اسحاق الكلبى المقرىء بتونس قرأ على أحمد بن محمد قرأ عليه بتونس محمد بن موسى المخشعى . تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ .

للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يأمرون الواحد كما يؤمر الاثنان »(٥) .

قال الفراء : « العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان فيقولون للرجل : قوما عنا ، وسمعت بعضهم ويحك ارحلاها وازجراها ... ونرى أن ذلك منهم أن الرجل أدنى أعوانه فى إبله وغنمه اثنان ، وكذلك الرفقة أدنى ما يكونون ثلاثة .. »(٦) .

ويدل على هذا المذهب - وهو أن العرب تخاطب الواحد بمخاطبة الاثنين - قراءة الحسن(٨) « ألقين »(٩) بالنون الخفيفة وهو خطاب للواحد(١٠) .

ومن كلام العرب :

قول الشاعر :

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصوله ، واجتز شيحا(١١)

---

(٥) البسيط ١/٢٧٠ .

(٦) معانى الفراء ٣/٧٨ .

(٧) البيان فى غريب إعراب القرآن ٢/٣٨٦ .

(٨) هو : أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابورى الواعظ المفسر أستاذ الثعلبى . صنف فى التفسير والقراءات واللغة والأدب . توفى سنة ٤٠٦ هـ . طبقات المفسرين ١/١٤٠ .

(٩) القراءات الشاذة ص ٨٥ ، والبحر ٨/١٢٦ .

(١٠) البسيط ١/٢٧١ .

(١١) هذا البيت من بحر الوافر ، من جملة أبيات للمضرس بن ربعى الأسدى . قوله (فقلت لصاحبى) أراد بالصاحب من يخاطب له ، والجز : القطع ، يقول لصاحبه : لا تحبسنا عن شىء الهم بأن تقلع أصول الشجر بل خذ ما تيسر من قضبانه

حيث خاطب الواحد بلفظ الاثنين .

وقـول الشـاعر :

وإن تزجـراني يا ابن عفـان انزجـر

وإن تدعـانى أحـم عرضـا ممنعـا (١٢)

فقول الشاعر : (تدعانى) خطاب للواحد بلفظ الاثنين .

يقول الفـراء : « فجـرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى الشعراء أكثر شيء قيلا : يا صاحبى ، يا خليلى .

قال امـرؤ القيس(١٣) :

= وعيدانه وأسـرع لنـا فى الشى . معانى الفراء ٧٨/٣ ، واللسان والتاج والصحاح (جزز) ، وتأويل المشكل ص ٢٩٤ ، والطبرى ١٦٥/٢٦ ، وزاد المسير ١٦/٨ ، ومجمع البيـان ١٤٥/٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٤٨٣/٤ .

(١٢) هـذا البيت من بحـر الطويل لشديد بن كراع العكلى ، وكان سويد هذا هجا بنى عبد الله بن دارم فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان فأراد ضـربه ، فقال سويد قصيدة منها بيت الشاهد .

قوله : (وإن تدعانى أحم عرضـا ممنعا) .

أى : إن تركتمانى حميت عرضى مما يؤذينى وإن زجرتمانى انزجرت وصبرت .

معانى الفراء ٧٨/٣ ، وتأويل المشكل ص ٢٩١ ، والطبرى ١٦٥/٢٦ ، وزاد المسير ١٦/٨ ، ومجمع البيان ١٤٥/٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٤٨٣/٤ .

(١٣) هو : امـرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى (نحو (١٣ - ٨٠ ق.هـ) أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، مولده بنجد ووفـاته بأنقـرة . من آثاره ديوان شعـر ، الشعـر والشعراء ١٠٥/١ ، والأعلام ١١/٢ .

خليلى ، مرابى على أم جندب

نقصى لبنات الفؤاد المعذب (١٤)

ثم قال :

ألم تر أنى كلما جئت طارقا

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب (١٥)

فقال ألم تر ، فرجع إلى الواحد ، وأول كلامه اثنان .

---

(١٤) من الطويل ، واللبانة : الحاجة ، يقو لصاحبيه : مرا بى على أم جندب لأعدل إليها واشتفى بلقائها .

ومحل الشاهد قوله (خليلى) خطاب للاثنين على غالب عادة العرب . انظر الديوان ص ٤١ ، ومعانى الفراء ٧٩/٣ ، ومعانى الزجاج ٤٦/٥ ، وإعراب النحاس ٢٨٨/٤ ، والبسيط ٢٧٠/١ .

(١٥) من الطويل ، من قصيدة قالها الشاعر فى مدح زوجته ، يقول إنها طيبة العرض والنشر ،وإن لم تمس طيبا فهى طيبة النشر فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه ، فالحديث فى البيت السابق كان الخطاب للاثنين ثم رجع إلى الواحد .

انظر الديوان ص ٤١ ، ومعانى الفراء ٧٩/٣ ، وإعراب النحاس ٢٢٨/٤ ، والطبرى ١٦٦/٢٦ ، والبسيط ٢٧٠/١ .

قال : وأنشدنى آخـر :

خليـلى قـــوما فى عطـــالة فانظـرا

أنارا ترى من نحو بابين أو برقا (١٦) »(١٧)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمـد وعلى آلـه وصحبـه وسـلم .

* * *

(١٦) من الطويل ، عطـالة : اسم جبـل ، قال ابن منظور ، قال الأزهرى : ورأيت بالسوداء من ديارات بنى سعد جبلا يقال له عطالة ، وهو الذى قال فيه القائل .

خليـلى قـوما فى عطـالة فانظـرا

أنـارا ترى من ذى أبانـين أم برقـا

اللسان ٤٩٩٩/٤ عطل ، ومعانى الفراء ٧٩/٣ .

(١٧) معاني الفـراء ٧٩/٣ .

المصـــادر والمـراجع

— **القـــرآن الكريم .**

— **الأعـلام للزركلى :** ط. دار العلم للملايين ـ بيروت .

— **أوضح المسالك إلى الفيـة ابن مالك :**

تحقيق الشيخ / محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط. دار الفكر

— **بغيـة الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى :**

تحقيق الأستاذ / أبو الفضل ابراهيم ، ط. الحلبى .

— **البحر المحيط لأبى حيان :** ط. دار الفكر .

— **البسيط للواحدى :**

رسالة دكتوراه ، إعداد د/ على عبد الوهاب خليل .

— **البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات ابن الأنبارى :**

ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب .

— **تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة :** ط. دار التراث .

— **تفسير غريب القـرآن لابن قتيبـة :**

ط. دار الكتب العلميـة ـ بيروت .

— **حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك :**

ط. الحلبى .

— **الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى :**

رسالة ماجستير ، إعداد الباحث د. جاد مخلوف جاد .

— **ديوان الـراعى :** ط. بيروت .

— **ديوان الفـرزدق :** دار صادر ـ بيروت .

— **روح المعـانى للألوسى :** دار التراث .

— شرح ديوان زهير : المكتبة الثقافية .
— شرح شافية ابن الحاجب : ط. دار الكتب العلمية - بيروت .
— الصاحبى لأحمد بن فارس : المكتبة السلفية .
— غاية النهاية فى طبقات القراء : الخانجى .
— الكتاب لسيبويه : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .
— الكشاف للزمخشرى : ط. الحلبى .
— مجاز القرآن لأبى عبيدة : مكتبة الخانجى .
— مسند الإمام أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامى للطباعة .
— معانى القرآن للزجاج : ط. عالم الكتب - بيرت .
— معانى القرآن للفراء : ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب .
— المقتضب للمبرد : ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
— المقرب لابن عصفور : مطبعة العانى - بغداد .
— منال الطالب فى شرح طوال الغرائب :
تحقيق : د. محمود محمد الطناحى ، دار المأمون .